154724 ـ ما الفرق بين قوله تعالى :(ويكون الدين لله) وقوله عز وجل :(ويكون الدين كله لله)

السؤال

قال تعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ) البقرة/193 وقال تعالى : (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) الأنفال/39. لماذا أتت الآية الكريمة الأولى (الدين لله) وفي الآية الكريمة الثانية : (الدين كله لله)؟ وجزاكم الله خيرا .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

الباحث في بلاغة القرآن الكريم لا بد أن يتأمل في السياق الذي وردت فيه الآيات ، فكثيرا ما يحمل في طياته بيانا أو إشارة إلى الوجه البلاغي أو التفسيري لما ورد فيها .

وفي الآيات الواردة في السؤال يحمل السياق في طياته إشارة يحتمل أن تكون هي الجواب عن الفرق بين قوله تعالى : (وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ) البقرة، وقوله عز وجل : (وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) الأنفال .

فآية البقرة سياقها يتحدث عن كفار قريش ، والأمر بقتال المعتدين منهم ، ومقابلة اعتدائهم بالصد والدفاع ، فقد انتهكوا الحرمات ، واعتدوا وظلموا ، والله لا يحب المعتدين .

يقول الله عز وجل :

(وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ . وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ . فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ . وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلا عَلَى الظَّالِمِينَ . الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) البقرة/190-194.

وأما سورة الأنفال فهي من السور التي تفصل أحكام الجهاد والقتال ضد عموم الكفار ، وليس كفار قريش خصوصا ، وتشرع الحكم الذي يعم الأحوال والأزمان والأشخاص ، فكان سياقها عاما يراد به جميع الكفار .

يقول الله تعالى :

(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ . وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ . وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) الأنفال/ 38-40.

فإذا تبين اختلاف السياقين عرفنا أن السياق الذي يتحدث عن عموم الكفار ، سواء كانوا مشركين أم أصحاب ديانات أخرى : يناسبه أن يقال فيه (وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) فالإسلام يعلو ولا يعلى عليه ، وعلو الإسلام يقضي أن يكون هو الدين الظاهر على جميع الديانات ، إما بعدد المسلمين ، أو بالحكم بالشريعة ، أو بفسح المجال لتبليغ الدعوة الحقة .

وأما السياق الذي يتحدث عن مشركي أهل مكة ، وليس فيهم أي دين آخر ، فيناسبه قوله عز وجل فيه : (وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ)، فلا حاجة لكلمة (كله) لأنه دين واحد في مكة ، وهو دين عبادة الأصنام .

هذا هو حاصل ما ذكره بعض المفسرين في بيان الحكمة في الفرق بين الآيتين .

يقول أبو حيان الأندلسي رحمه الله :

" قيل : وجاء في الأنفال : (وَيَكُونَ الدّينُ كُلُّهُ لِلهِ) ولم يجئ هنا : (كله)؛ لأن آية الأنفال في الكفار عموماً ، وهنا في مشركي مكة ، فناسب هناك التعميم ، ولم يحتج هنا إليه . قيل : وهذا لا يتوجه إلاَّ على قول من جعل الضمير في : (وقاتلوهم) ، عائداً على أهل مكة على أحد القولين " انتهى.

" البحر المحيط " (2/76)

ويقول ابن عرفة المالكي رحمه الله :

" قوله تعالى : (وَيَكُونَ الدين لِلَّهِ) وفي الأنفال : (وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) وأجاب بعضهم : بأن هذه في قتال كفار قريش ، وتلك في قتال جميع الكفار ؛ لأن قبلها (قُل لِّلَّذِينَ كفروا إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ)، فالمراد في آية البقرة (ويكون الدّين) الّذي هم عليه لله ، ودينهم بعض الدين لا كله ، بخلاف آية الأنفال " انتهى.

" تفسير ابن عرفة المالكي " (2/561) تحقيق حسن المناعي ، مركز البحوث .

ويقول الألوسي رحمه الله :

" لم يجئ هنا كلمة (كله) كما في آية الأنفال ؛ لأن ما هنا في مشركي العرب ، وما هناك في الكفار عموماً ، فناسب العموم هناك ، وتركه هنا " انتهى.

" روح المعاني " (2/76)

والله أعلم .